المحاولات العثمانية للسيطرة على الخليج العربي
"الحملات البحرية انموذجا"

الباحث الأول:
أ.د. زهير قاسم محمد
كلية التربية –جامعة سامراء

الباحث الثاني:
هادي جبار حسون
كلية الآداب –جامعة سامراء

الملخص:

ركز البحث في المحاولات العثمانية للسيطرة على الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والتاسع عشر، ولاسيما الحملات البحرية التي نفذتها الدولة العثمانية لمواجهة الوجود البرتغالي في المنطقة، بداية من حملة سليمان باشا الخادم عام 1538 كأول رد فعل عثماني على التوسع البرتغالي، والحملات التي تلتها مثل حملة بيري ريس عام 1552 وحملة مصطفى باشا على البحرين عام 1559، فضلا عن ذلك تناول البحث الجهود المتأخرة التي قادها الوالي مدحت باشا عام 1871؛ لتعزيز النفوذ العثماني في المنطقة لمواجهة الوجود البريطاني المتنامي، وعلى الرغم من ذلك أن العثمانيين واجهوا صعوبات كبيرة في فرض سيطرتهم على الخليج العربي؛ بسبب التفوق البحري البرتغالي والبريطاني، فضلا عن غياب التخطيط العسكري الدقيق وعدم التنسيق الكافي بين القيادة العثمانية المحلية والمركزية.

الكلمات المفتاحية: الخليج العربي، الحملات العثمانية، السيطرة البرتغالية، السياسة البحرية، النفوذ البريطاني.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 11, Issue 37, Aug 2024
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Ottoman Attempts to Control the Arabian Gulf: Naval Campaigns as a Model

Dr. Zuhair Qasim Mohammed
College of Education - University of Samarra
Dr. Hadi Jabbar Hassoun
College of Arts -Samarra University

Abstract:

The research focuses on the Ottoman attempts to control the Arabian Gulf during the sixteenth and nineteenth centuries, especially the naval campaigns carried out by the Ottoman state to confront the Portuguese presence in the region, starting with the campaign of Suleiman Pasha al-Khadim in 1538 as the first Ottoman response to Portuguese expansion, and the campaigns that followed such as the Piri Reis campaign in 1552 and the Mustafa Pasha campaign on Bahrain in 1559. In addition, the research addressed the late efforts led by the governor Midhat Pasha in 1871 to strengthen Ottoman influence in the region to confront the growing British presence. Despite this, the Ottomans faced great difficulties in imposing their control over the Arabian Gulf due to the Portuguese and British naval superiority, as well as the absence of accurate military planning and insufficient coordination between the local and central Ottoman leadership.

Keywords: Arabian Gulf, Ottoman campaigns, Portuguese dominance, naval strategy, British influence

المقدمة:

أصبحت منطقة الخليج العربي في مطلع القرن السادس عشر الميلادي محط اهتمام الدولة العثمانية بصوره خاصة ومنطقة الشرق بصوره عامه نتيجة الغزو الاستعماري البرتغالي الذي اجتاح منطقة الخليج العربي في العام 1507م فضلا "عن ظهور الدولة الصفوية في بلاد فارس ومحاولاتها للسيطرة على المنطقة. فكانت الاستجابة العثمانية البحرية للتطورات السياسية والعسكرية في الخليج العربي والجزيرة العربية سريعة من خلال الاندفاع العثماني نحو الخليج ،وكانت حملة سليمان القانوني على العراق وامتداد النفوذ

العثماني الى الخليج العربي بعد فتح بغداد 1534م والسيطرة العثمانية المباشرة على البصرة 1546م، ماهي الا ردة فعل للدولة العثمانية، كما ساهمت البصرة في ارسال الحملات العثمانية البحرية لترسيخ النفوذ في المنطقة والبحر الاحمر ونظرا للأهمية الاستراتيجية للخليج العربي باعتباره الطريق التجاري الاكثر اهميه من بين طرق التجارة العالمية ,والغزو الاستعماري الاوربي الذي تعرضت له منطقة الخليج كان لابد للدولة العثمانية ان يكون لها ردة فعل من ذلك الغزو.

قسم البحث الى ستة محاور خصص المحور الاول لدراسة حملة سليمان باشا الخادم عام 1538م وتناول المحور الثاني حملة بيري ريس 1552م وما تمخضت عنها من نتائج على السياسة العثمانية في المنطقة، وجاء المحور الثالث حملة مراد الريس 1553م اهدافها ونتائجها. اما المحور الرابع فقد كرس لحملة سيدي علي الريس 1554م، اما المحور الخامس فقد تناول حملة مصطفى باشا على البحرين 1559م والمواقف العثماني من التوجه نحو الخليج والسياسة البحرية التي تبنتها الدولة العثمانية فيما بعد اما المحور السادس فدرس حملة مدحت باشا في عام 1871م والجهود التي بذلها في سبيل تثبيت الوجود العثماني في الخليج العربي بعد ازدياد حدة التنافس الاوربي فيه.

اولا : حملة سليمان باشا الخادم 1538 وبداية الصراع مع البرتغاليين

بدأت السيطرة العثمانية على البحر الاحمر بعد العام 1517م عندما نجح سليم الاول في فرض سيطرة الدولة العثمانية على مصر بعد معركة الريدانية لتدخل مناطق اخرى من الجزيرة العربية تحت سيطرة العثمانيين.

بعد ذلك قدم بيري ريس خريطته الشهيرة للسلطان سليم الاول بعد اسابيع من دخوله مصر اوضح فيها الخطط العسكرية للحملات العثمانية للسيطرة على مناطق الخليج العربي والمناطق القريبة منها .لتبدأ مرحله جديدة من التنافس العثماني _البرتغالي في المنطقة، فدخل السلطان سليم الاول في مفاوضات مع السلطان المظفر الثاني سلطان غوجارات او (كجرات) الواقعة شمال غرب الهند تركزت المفاوضات حول امكانية القيام بحملة مشتركه ضد البرتغاليين في جو، إلا ان المفاوضات انتهت دون تحقيق هذا الهدف بسبب وفاة السلطان سليم الاول في العام 1520م (زهير، 2016، ص1).

واصل سليمان القانوني (1520- 1566) السير على خطط سليم الاول الرامية في فرض سيطرة الدولة العثمانية على المنطقة فقام بتعين سليمان باشا الخادم قائدا للأسطول العثماني في المحيط الهندي الذي تألف من 90 قاربا وفي هذه الاثناء وصلت مناشدة

بهادرشاه ابن المظفر الثاني حاكم كجرات من اجل القيام بحملة مشتركه ضد البرتغاليين فأوعز الى قائد الاسطول العثماني والمحيط الهندي سليمان باشا الخادم للتحالف مع حاكم كجرات للقيام بحملة ضد القوات البحرية البرتغالية، ثم العودة بالحملة على مناطق الخليج العربي بعد توجيه ضربه مشتركه للبرتغاليين في الهند وفي عام 1538م سار سليمان باشا الخادم الى الهند عن طريق البحر الاحمر وبحر العرب في المقابل بدأ بهادرشاه بالاشتباكات مع البحرية البرتغالية إلا ان حاكم كجرات توفي اثناء الاشتباكات ومن جاء بعده في حكم كجرات دخل في حلف مع البرتغاليين وبهذا فشلت المساعي العثمانية في توجيه ضربه بحريه ضد البرتغاليين في الهند وفشل الحصار على ديو فقرر سليمان باشا الخادم العودة الى السويس وأثناء طريق عودته فرض السيطرة العثمانية على معظم مناطق اليمن بما فيها عدن ذات الموقع الاستراتيجي المهم في البحر الأحمر (صالح، 1979، ص 41-45).

وتولى سليمان باشا بعد ذلك منصب الصدر الاعظم .بعد ذلك أمر السلطان سليمان القانوني بتأكيد السيطرة العثمانية على البصرة الفعلية عليها في العام 1546م بعد ان كانت خاضعة لها اسميا بعد سيطرتهم على بغداد 1534م لتصبح البصرة القاعدة الاخرى بعد السويس لإرسال الحملات البحرية ضد البرتغاليين لنبدأ مرحله جديدة من التنافس العثماني _البرتغالي في منطقة الخليج العربي عام 1550م ؛ حينما اعلن اهالي القطيف عدم الولاء لحاكم هرمز (حليف البرتغاليين) وإنهم يرغبوا بالدخول في حماية العثمانيين الامر الذي دعى البرتغاليين بإرسال حمله ضد القطيف لإفشال المخطط وإعادة الاوضاع الى ما كانت عليه، الامر الذي دعى السلطان سليمان القانوني الى التحضير لإعداد حمله جديدة للسيطرة على الخليج العربي (زهير، 2016، ص2)؛ (عبد العزيز، 1976، ص677-679).

ثانيا : حملة بيري بك ريس عام 1552 م

جاء الرد العثماني بعد احداث القطيف والإجراءات البرتغالية ضد اهالي القطيف التعسفية من خلال اتخاذ سليمان القانوني (1520 -1566م) موقفا حازما للرد، اذ امر بإرسال حملة الى المناطق الشرقية من الجزيرة العربية الهدف منها فرض السيطرة العثمانية على جزيرة هرمز وإلحاقها تحت ادارة والي البصرة، اذ اصدر القانوني اوامره في العام 1550 الى (قبودان مصر) أي القائد البحري العثماني بيري بك ويعرف ايضا باسم بيري ريس للقيام بأعداد وتجهيز (30) سفينة متنوعة الصنوف والأحجام في مصر بالتحديد من

منطقة السويس والسير بها نحو منطقة الخليج العربي لمواجهة البرتغاليين (زهير، 2016، ص1).

توجه بيري الريس في 29 كانون الاول 1551م بالحملة المكونة من (30) قطعه بحريه من صنف (قاردغه ،وقاليتة، وباشتره، وقاليون) من مصر فضلا عن (16000) الف مقاتل ،كما أرسل امرا من استانبول الى والي البصرة يشمل التعليمات التي ارسلت الى بيري بك ريس الخاصة بالسيطرة على جزيرتي هرمز و البحرين لتأمين حماية البصرة (عبد العزيز، 1976، ص684- 685).

سارت الحملة وفق الخطة فتمكنت من عبور مضيق باب المندب بأتجاه عدن ،الا ان الظروف المناخية حالت دون تحقيق اهدافها نتيجة الرياح القوية التي فرقت القطع البحرية للحملة اثناء عبورها مناطق جنوب الخليج بالقرب من سواحل (الشحر وظفار)، وبعد هدوء الرياح حاولت الحملة مواصلة رحلتها باتجاه منطقة الخليج العربي ،الا ان اخبارها وصلت القائد العسكري للبرتغال في هرمز الفارو دي نورنها ALFaro De Nornha، الذي اتخذ قرار مواجهة الحملة في البحر قبل وصولها لسواحل الجزيرة ، من خلال تكليف القائد البحري سايمو دي كوستا Simone De Costa بالخروج لمواجهة الحملة العثمانية وايقاف تقدمها، ولما التقى الطرفان تمكن القائد البحري العثماني بيري بك ريس من هزيمة السفن البرتغالية واغراقها، استغل القائد العثماني الانتصار الذي حققة وسار بأتجاه مسقط لان الطريق اصبح مفتوحا، وخلال الصدام العسكري قبالة سواحل مسقط تمكن القائد بيري بك هزيمة القوات البرتغالية المرابطة هناك واغراق وتكسير السفن البرتغالية الموجودة في المنطقة والتي يقدر عددها بأكثر من (70) سفينة مختلفة الاحجام، استمرت الحملة العثمانية بطريقها نحو القلعة العمانية (مسقط) التي كانت تحت حماية القائد البرتغالي جوا دي لزبوا Goa De Lisboa ،والذي الذي كلف بمهمة تحصين قلعة مسقط، وبعد وصولها للقلعة فرض القائد العثماني بيري بك حصارا عليها لمدة 18 يوم استمر بقصفها بالمدفعية بشكل متواصل ،اضطر القائد البرتغالي في القلعة الى تسليم نفسه لبيري بك ومعه 60 مقاتل برتغالي ،وتم نقلهم على السفن العثمانية التي غادرت القلعة العمانية ،بعد ذلك توجهت الحملة بأتجاه جزيرة هرمز من دون ابقاء حاميه عثمانية في قلعة مسقط والاكتفاء بمصادرة المدافع البرتغالية . (صبري، 2007، ص34-37)؛ (صالح، 1979، ص44-46).

وصلت الحملة الى جزيرة هرمز في 19 ايلول 1552،التي كانت تحت حكم القائد البرتغالي الفارو دي نورنها كما ذكرنا سابقا، ومعه (900) مقاتل في الجزيرة، وكان القائد العثماني بيري بك قد اعد نفسه لحصار طويل، تمكن في البداية من السيطرة على (40) سفينة شراعية صغيرة كانت موجودة في سواحل الجزيرة، بعد ذلك امر جنوده بالنزول الى البر وإقامت معسكراتهم فيها وتحصينها ،ثم الشروع في نصب المدافع لغرض الاستعداد لقصف قلعة هرمز، بدأ الجنود العثمانيين بالمرحلة الاولى من حصار القلعة من خلال القصف بالمدفعية بشكل مستمر دون توقف فأصبحت جزيرة هرمز تحت السيطرة العثمانية بأستثناء القلعة لقوة تحصيناتها، فواصلوا حصارها وكادت ان تسقط القلعة لولا القرار المفاجئ للقائد بيري بك ريس في رفع الحصار عنها بعد عشرين يوما من الحصار بعد وصول معلومات عن قدوم قوات عسكرية برتغالية لنجدة لمساعدة القوات البرتغالية الموجودة في القلعة ، ليتوجه بعد ذلك الى جزيرة قشم تمكن من السيطرة عليها ،لكنه فضل الانسحاب مره اخرى بأتجاه البصرة بعد وصول معلومات عن تقدم قوات برتغالية بحرية كبيرة بقيادة الفونسو دي نورنها تتكون اكثرمن (80) سفينه، بعد وصول معلومات الانسحاب العثماني من جزيرة هرمز قرر القائد البرتغالي الفونسو عدم التوجه الى هرمزبنفسه بل فضل ارسال ابن عمه دي انطونيو دي نورنها على راس قوات بحرية مكونه من (12) سفينه كبيره و(28) سفينة صغيرة، فوصل الاخير الى هرمز فوجدها خالية من القوات العثمانية ،واستمر القائد البرتغالي بمراقبة تحركات الحملة العثمانية، وبعد وصول القائد بيري بك ريس الى البصرة وصلت معلومات عن رغبة القائد البرتغالي الفونسو دي في غلق خط العودة عليه، فضلا عن قيام قباد باشا بكلر بكي البصرة بأرسال تقرير مفصل الى سليمان القانوني حول نشاطات بيري بك خلال الحملة المرسلة للمنطقة ووالاجراءات الخاطئة التي اتخذها اثناء الحملة ولاسيما الانسحاب من هرمز دون السيطرة على القلعة، ولما علم الاخير بمحتوى ذلك التقرير المرفوع ضده قرر الخروج من البصرة بثلاث سفن خاصة من صنف (قاردغه) مع سفن اخرى اصغر حجم للحماية محمله بالغنائم التي حصل عليها خلال حملته، لانه ادرك صعوبة اختراق القوات البرتغالية المتواجدة في مضيق هرمز بكامل سفنه، الا انه خسر احدى السفن بفعل اصطدامها بصخره كبيره ادت غرقها قرب البحرين، وصل بيري بك الى السويس ،اما بقية السفن الحربية الاخرى تركت تحت السيطرة البرتغالية ،ولذلك صدرت الاوامر السلطانية بإعدامه بتهمة الخيانة العظمى وانتهى امره بالإعدام في مصر ومصادرة امواله والغنائم التي حصل

عليها في اثناء حملته وإرسالها الى استانبول، وبالرغم من الانتصار العسكري الذي تحقق ضد البرتغاليين في بداية الحملة، الا ان الدولة عاقبت قائدها بإعدامه لأنه خرج عن الخطة المعدة له وتباينت الآراء حول سبب اعدامه منها تعزى الى رفعة الحصار عن هرمز والسبب الاخر ترك اسطوله وعساكره محاصرين في البصرة والخروج بثلاث سفن محمله بالغنائم فكان هذا القرار دليل على فشله، اذ كانت الدولة العثمانية تأمل من القائد المحنك بيري بك ريس اعمالا كبيره فخاب الامل فيه. (عبد الفتاح، 1986، ص348-350)؛ (زهير، 2016، ص2).

ثالثا: حملة مراد الريس 1553م

استمرت الدولة العثمانية في محاولاتها للسيطرة على الخليج العربي بالرغم من فشل حملة بيري بك ريس في العام 1522، اذ تم تعيين مراد بيك ريس (قبودان مصر) اي القائد البحري في السويس في العام 1553، وكانت اولى مهامه جمع و قيادة السفن العثمانية التي تركها بيري بك ريس هناك قبل استيلاء البرتغاليين عليها، كما صدرت اوامر سلطانية اخرى تنص بسحب السفن الحربية الموجودة في البصرة مع ابقاء بارجتين وخمس قادرغات وقاليته واحده للدفاع عن المدينة، واستغلالا للوقت بدأ القائد العثماني الجديد للحملة مراد الريس بتنفيذ الاوامر، إذ خرج من البصرة وتحت قيادته (15) قادرغه وبارجتين، ولما وصل قرب جزيرة هرمز التقى بالقطعات العسكرية البحرية البرتغالية، والذين كانوا قد استعدوا للمعركة بصورة جيدة ،لانهم كانوا ينتظرون وصولهم لورود معلومات دقيقة عن تحرك الحملة العثمانية منذ خروجها من البصرة ، إذ تم تكليف القائد البحري البرتغالي دوم ديجو دي نورنها Dom Dego De Nornha بصده فتقابل الطرفان ودارت بينهما معركة بحرية اسفرت عن خسائر كبيرة بين الطرفين ومقتل اثنان من قادة الحملة العثمانية وهما سليمان ريس ورجب ريس، كما خسرت الحملة العثمانية عدد من سفنها اثناء المعركة، ولم تسفر المعركة عن منتصر فيها، هنا ادرك مراد خطورة التقدم نحو منطقة السويس، بفعل الخلل الذي حدث بسفينته، لذلك فضل الانسحاب الى البصرة ، من خلال الاستفادة من ظلام الليل فعاد الى البصرة دون ان يضيع الفرصة، الا انه في اثناء عودته تعرضت احدى سفنه للاصطدام المعروفة بأسم (بارجة بالبر) في احدى جوانب الساحل الشرقي من الخليج العربي بسبب عتمة الليل ، وصلت انباء الحملة الى الباب العالي، الا انها لم تقتنع بما حدث ، وعدت ذلك الامر اخفاقا للعثمانيين لان مراد الريس لم يحقق هدف الحملة بهزيمة القوات البرتغالية ،لذلك قررت اسناد المهمة الى قائد جديد لاكمال المهمه .

(عبد العزيز، 1976، ص685؛ عبد العزيز، 1986 ،ص22-269)؛ (عباس، 2004، ص265-267).

رابعا: حملة سيدي علي الريس 1554م

استمرت المحاولات العثمانية بالرغم من الاخفاقات المتتالية، وكانت هذه المرة عن طريق القائد البحري العثماني سيدي علي الريس ،حينما اصدر سليمان القانوني في العام 1554 امرا بتكليفه في مهمة إعادة اعادة الاسطول العثماني من البصرة الى منطقة السويس وجاء اختيار هذا القائد لما عرف عنه من كفاءة وخبرة بالأمور البحرية، بالفعل بدأ القائد الجديد بتنفيذ الامر السلطاني فخرج من الاستانة العاصمة العثمانية متجها الى حلب ومنها الى الموصل والى بغداد فالبصرة التي وصلها في شباط 1554، فالتقى الوالي مصطفى باشا وسلمه الفرمان واطلعه على تفاصيل المهمه الجديدة، اظهر الاخير تعاونه الكبير معه، من خلال تسليمه السفن العثمانية الموجودة في البصرة وعددها (15) سفينة من نوع قادرغه، الا انها كانت قديمة وبحاجه الى عمليات ترميم واصلاح، الامر الذي تطلب من القائد البحري سيدي علي البقاء في البصرة لمدة خمسة اشهر لغرض تجهيز السفن وإصلاحها، فضلا عن بناء سفن جديدة اضافية، والعمل على اجراء تدريب القطعات العسكرية اللازمة لمواجهة القوات البرتغالية، وفي الجانب المقابل كانت القوات العسكرية البحرية للبرتغاليين بقيادة فرناندو دي مينزيFernando De Menezes وأنطونيو دي نورنهاAntonio De Nornha، و كانت قدرتهم العسكرية من السفن تعادل ثلاثة اضعاف السفن العثمانية التي كانت مع القائد البحري العثماني سيدي علي سار الاخير بحملته من البصرة في 2 تموز 1554م (زهير، 2017،ص1-2)؛ (عباس، 2004، 88-92). التي تكونت من (15) سفينه باتجاه مناطق الساحل الشرقي للخليج العربي، ومنها سار باتجاه القطيف ثم الى البحرين لغرض التمويه على الجانب البرتغالي، بعد وصول معلومات لديه اثناء وجوده في جزيرة البحرين عن وجود (4) قطع بحريه برتغالية في مسقط لذلك فضل السير باتجاه جزيرة قيس (هرمز القديمة) وجلفار (راس الخيمة) وراس مسندم الهدف منها الحصول على تفاصيل اخرى عن تحركات السفن البرتغالية في مياه المنطقة من خلال ارساله سفن استطلاعية ،والتي اخبرته بخلو مياه منطقة الخليج من السفن البرتغالية فتحرك سريعا باتجاه جزيرة هرمز ولكنه تفاجئ بوجود أسطول برتغالي يضم (25) قطعه بحريه امام ساحل ظفار على مقربة من منطقة خورفكان، حينها امر سيدي علي بالتحضير للمعركة فحدثت بين طرفين واحده من اقوى المعارك البحرية في 9 اب 1554، تمكن القائد

العثماني السيطرة على (4) سفن برتغالية اضطرت السفن الاخرى على التراجع والانسحاب الى الشرق من هرمز، واصل القائد سيدي علي مسيرته نحو مسقط وقلهات، الا ان اسطول العدو البرتغالي بعد انسحابه اعاد تجميع قطعاته وتجهيزها وزيادة عددها حتى بلغ(34) سفينة بصورة سريعة ،ليتفاجأ القائد العثماني في الخامس والعشرين من اب 1554م بالأسطول البرتغالي امامه حينها حدثت معركة قصيرة بينهما تكبد فيها الطرفان خسائر كبيرة في الجنود والقطع البحرية العسكرية وانتهت باستسلام (6) من سفن العثمانية، حينها أمر سيدي علي ريس جنوده بالانسحاب والتوجه نحو اليمن ولكن سوء الاحوال الجوية حالت دون وصوله حينما هبت عاصفة قويه اخذته باتجاه سواحل الخليج وألقت به على ساحل مكران، (عبد العزيز محمد، 1986، ص23-24)؛ (احمد، 1308هـ، ص160-163).

بعد ان تزودت السفن العثمانية بالماء العذب سار مره اخرى باتجاه منطق اليمن، ولكن الرياح الشديدة ألقت بهم مره اخرى الى سواحل الهند الغربيه، فوصل كوكجرات وهناك تفرق بعض من اعوانه ودخلوا في خدمة امراء الهند فاضطر سيدي علي الريس الى بيع سفنه الستة المتبقية ومدافعه وذخائره وارسال اثمانها الى الاستانة، وعاد الى العاصمة العثمانية مع (50) شخصا من أتباعه سالكا طريقا بريا عبر الهند وايران بعد رحله شاقه وطويلة استغرقت ثلاث سنوات فوصلها في أيار 1557 م،(صالح،1979، ص49-51)؛ (زهير، 2016، ص4-5).

حاول البرتغاليون بعدها الرد بحملة نحو البصرة في العام 1556 م ، حينما سار الفارو دي سليفرا Alvaro De Silveira قائد الاسطول البرتغالي من جوا باتجاه البصرة ، الا ان الاحوال الجوية ادت دورها في الدفاع عنها من خلال عاصفه قوية منعت قدومه الى البصرة دفعته بعيدا خارج مياه شط العرب فعاد ادراجه الى الهند دون تحقيق شيئا من اهدافه ،وبعدها بثلاث سنوات بالتحديد في العام 1559 ، شهدت منطقة الخليج محاولة عثمانية جديدة هذه المرة نحو البحرين القاعدة العسكرية البرتغالية، (صالح، 1979، ص49-51)؛ (زهير، 2016، ص4-5).

خامسا : حملة مصطفى باشا على البحرين 1559 م

عانت البحرين كثيرا من ظلم وتعسف ومصادرة للأموال والبضائع التجارية من قبل البرتغاليين، فضلا عن استخدامهم اساليب القمع والترهيب بالأهالي، وهذه سمه رافقت الاستعمار البرتغالي الغرض منها ادخال الرهبة والخوف في نفوس السكان وعدم محاولة

التخلص من السيطرة الاستعمارية ،وكان العثمانيون على علم بما يعانيه الناس في البحرين، ولاسيما عن طريق المناطق القريبة منها الخاضعة تحت السيطرة العثمانية، لهذا ادركوا ضرورة الاستفادة من تحركات المقاومة الوطنية، لاسيما بعد اتساع الاستياءالشعبي، لأجل السيطرة عليها، ولاسيما ان البحرين هي من اكثر امارات الخليج احتضانا للحركات الوطنيه المعارضة للاستعمار البرتغالي لذلك قرروا توجيه حمله جديدة لتحقيق الهدف المنشود (فيصل، 1999، ص47-55).

شهد العام 1559 انطلاق حملة جديدة بقيادة مصطفى باشا بكلر بكي الاحساء هدفها مهاجمة القاعدة العسكرية في البحرين، وإنهاء النظام الحاكم فيها والحاقها بإيالة الاحساء بشكل مباشر، وانقاذها من الحكم البرتغالي، ساد الغموض في تفسير السبب الرئيسي الذي كان وراء هذه الحملة، فهناك من قال انها كانت رغبه شخصيه من قبل قائد الحملة وبين قائل انها كانت بأمر سلطاني من الاستانة . (صبري، 2007، ص29).

ولكن الحقيقة ظهرت بعد ذلك ان مصطفى باشا اعد الحملة برغبته الشخصية دون علم من السلطان العثماني كمطمع شخصي لتوسيع ولايته بالأحساء على حساب القطيف والبحرين. ففي 13 رمضان من العام 1559م بدأت الحملة بحصار قلعة البحرين رافقها قصف المدفعية بشكل متواصل، وفي 26 رمضان وصلت المساعدة البرتغالية والتي تمثلت بـ 22 سفينه تعرف بـ (غراب) اتجهت منها عشرة سفن باتجاه البصرة واما السفن الباقية الـ12البرتغاليه فقد تعرضت لهجوم من قبل سفينتين حربيتان جاءت من البصرة بقيادة محمد بيك، الامر الذي ادى الى انسحاب السفن البرتغالية امام السفينتين بخدعه حربيه منهم، الا ان محمد بيك بقي يتعقبهم حتى اضطر على التراجع دون ان يستطيع ملاحقتهم، وهنا استغل الجانب البرتغالي الامر حينما استطاعت سفينةبرتغالية من التسلل سرا من الساحل واشعلت النيران في السفن العثمانية المحملة بالعتاد، وحينها اضطر محمد بك الى التراجع والنزول الى اليابسة للتزود بالماء، لانهم امضوا مدة كبيره على البحر، فإنتهز الاسطول البرتغالي المكون من 22 سفينة الفرصة هجموا على السفينتان واسروهما وقتلوا من فيها ، اما حملة مصطفى باشا فقد واصلت حصارها للبحرين وتشكلت الحملة من بارجتين و70 سفينه شراعيه تضم (1200) جندي وتوقفت الحملة امام قلعة المنامة وبدأت بحاصرها، هنا ارسل حاكم البحرين مراد ريس طلبا للمساعدة من البرتغاليين في هرمز ضد القوات العثمانية، الامر الذي دفع بالحاكم العسكري البرتغالي في هرمز الى الاستجابة للطلب من خلال إرسال حملة بقيادة شقيقة دوم جوادي نورنها Dom Jawadei

Noranha تألفت من 22 سفينه لإنقاذها من العثمانيين ، ولم يهدد الا سطول البرتغالي الاحساء فقط وانما هدد مدينة البصرة ايضا، وصلت السفن البرتغالية مشارف البحرين في 26 رمضان 1559، بدأت الاشتباكات بين الطرفان ، وكان مصطفى باشا يشرف على المعركة البحرية من المنامة ، وبعد سلسلة من المعارك البحرية اوشك البرتغاليون على الانكسار بالرغم من مشاركة مراد ريس فيها بمساعدة 300 جندي فارسي ، ومقتل القائد البرتغالي دون جوادي نورنها في احدى المعارك ،الامر الذي لم يشعر به العثمانيون لانه غير موجود في تقاريرهم ، الامر الذي دفع حاكم هرمز البرتغالي الى ارسال بيرو بشوتو Pero Basuto ، ثم لحقه بنفسه ،وبذلك اصبحت الحملة العثمانية بين دفاعات البحرين والسفن البرتغالية القادمة من هرمز فقتل مصطفى باشا. (فاضل ،2003،ص 505-507).

اثناء المعارك فانهارت معنويات الجيش العثماني وفضلوا الدخول في مفاوضات مع البرتغاليين والانسحاب الى البصرة بعد ستة اشهر من المعارك وكانت لهم اسبابهم في انهاء المعركة ووضع حد لها ، فضلا عن ان العوامل المناخية كان لها دورها من خلال عاصفة من الرياح الشرقية التي بدأ موسمها فاثرت كثيرا على الجانبين، وامام هذه الظروف توصلوا الى عقد مفاوضات بينهما، والتي شارك فيها محمد بيك وسلطان علي بيك قائد سنجق القطيف ، اسفرت عن اعادة الاسرى البرتغاليين ومعهم غنائم الحرب، فضلا عن دفع غرامة للبرتغاليين قدرت بنحو(1000,000) أقجه ، ولينسحبوا بعدها الى البصرة، وقدر عدد قتلى البرتغاليين اكثر من(70) قتيلا وعدد الاسرى، اما القوات العثمانية الذين وصلوا الى البصرة كان عددهم (200) مقاتل من اصل (1200) مقاتل، (ج.ج. لوريمر،2017، ص3-5).

ويبدو ان سمة الارتجال وعدم وجود خطه عسكريه وسياسيه محكمه كانت تسود التحركات العثمانية منذ بداية وجودها في منطقة الخليج العربي.

وكان من نتائج حملة مصطفى باشا ان الاستانة اتخذت خطوات جاده لتأسيس اسطول عثماني كبير في ولاية البصرة.

سادسا: حملة مدحت باشا عام 1871م

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر اهتمام كبير من قبل الدولة العثمانية بمنطقة الخليج العربي وذلك لعدة عوامل اهمها فتح قناة السويس الامر الذي سهل فتح خط ملاحي بين البصرة والعاصمة العثمانية، فضلا عن تولي مدحت باشا ولاية بغداد (1869-

1872) والذي سعى الى اعادة هيبة الدولة العثمانية وتأكيد سيطرتها الفعلية على جميع المناطق الخاضعة لها اسميا، لذلك سعى الى انشاء اسطول عثماني قوي في الخليج العربي وانشاء خط بواخر بين البصرة والسويس والعاصمة العثمانية، فبدأ نشاطه مع الكويت فقام بأنشاء مركز لجباية الضرائب كجزء من خطته في ادخال نظم الادارة العثمانية فيها ، ثم اسند منصب القائم مقام الى صباح الثاني (ج.ج.لوريمر، 2017، ص18)؛ (زهير، 2017، ص3-5).

ادرك مدحت باشا خطورة الوضع في منطقة الخليج العربي بسبب زيادة النشاط البريطاني فيه ، لذلك حاول العمل على وقف هذا التدخل البريطاني من خلال ارسال حملة لغرض السيطرة على مناطق الخليج العربي لتعزيز الحماية والدفاع عن اطراف حدود الامبراطورية العثمانية وابعادها عي السيطرة البريطانية، واصدر مدحت باشا اعلانا عن اهداف الحملة بدأ فيه بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تدعو الى طاعة ولي الامر واكد فيه على سعي الدولة العثمانية لتأكيد سيطرتها بصورة فعلية على هذه المناطق والقضاء على الاضطرابات التي تشهدها هذه المناطق ولاسيما نجد، وضعت خطة الحملة العثمانية التي تحركت من بغداد الى البصرة ثم الى نجد في نيسان 1871م، على اساس ارسال القوات النظامية عن طريق الخليج العربي، وارسال قوات المشاة النظامية وقوات العشائر عن طريق البر لتلتقي بالقوات الاخرى في الاحساء(ج.ج.لوريمر، 2017، ص370-371).

تكونت القوات البحرية المشاركة بالحملة العثمانية من السفينتان لبنان والاسكندرية اللتان عبرتا قناة السويس وباب المندب الى منطقة الخليج ، وانظمت اليهما الباخرة بروسة التي تضم 22 مدفعا ، مع عدد من السفن الصغيرة ذات الاسلحة المدفعية ، بالمقابل استطاعت قوات عثمانية برية من السير حتى الاحساء دون مقاومة اما القوات البحرية فنزلت في رأس التنورة ،كما استطاعت المدفعية العثمانية من السيطرة على الدمام والقطيف في حزيران 1871 ، فأصبحت جميع مناطق الاحساء تحت السيطرة العثمانية الفعلية ، فأعلن مدحت باشا ان هدف الحملة العثمانية القادم هو تأكيد سيطرتهم على سواحل الاحساء والبحرين وقطر وامارات الساحل العماني، (صلاح، 1976، ص916-935).

هذا الامر اثار حفيظة بريطانيا والتي طالبت مدحت باشا بعدم السعي لضم هذه المناطق لأنها خاضعة تحت الحماية البريطانية ،فضلا عن استقدام بوارج حربية جديدة الى مياه الخليج العربي للدفاع عنها، وامام هذه التطورات رفض مدحت باشا التدخل في شؤون

البحرين وانه غير مستعد ان يورك القوات العثمانية بحرب خاسرة مقدما مع البريطانيين ، اما قطر فقد اعلن شيخها ولاءه للدولة العثمانية ورفع العلم العثماني ، كما سعى مدحت باشا اتباع طريقة اخرى ضد البريطانيين من خلال تحريض شيوخ وامراء الساحل العماني ضد بريطانيا ، الا ان محاولاته باءت بالفشل بسبب الوجود البريطاني المسيطر على مناطقهم ، ولم يحاول مدحت باشا التدخل العسكري في مناطقهم واكتفى بالمناطق التي اصبحت تحت سيطرته وهي الاحساء والمناطق القريبة منها فضلا عن قطر التي اصبحت تحت الادارة العثمانية، (زهير ،2017،ص1-5)؛ (عبد العزيز،1975 ، ص) ؛ (عبد العزيز، 1968، 423-424).

سادت حالة انعدام الثقة بين الدولة العثمانية وبريطانيا خلال العقد الاخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، لان الاخيرة واجهت تحدي قوي اثر على المصالح الاقتصادية والسياسية، لذلك سعت بريطانيا الى استخدام كافة الاساليب لزيادة نفوذها في منطقة الخليج العربي (زهير، 2016، ص5)؛ (محمود ،2003، ص416-420).

الخاتمة:

1. ان من اهم الاسباب التي ادت الى فشل الحملات العثمانية في فرض السيطرة العثمانية على الخليج العربي الوجود العسكري البريطاني في منطقة الخليج العربي وتمكنت من خلاله في فرض سيطرتها سياسيا" وعسكريا واقتصاديا.
2. كان سعي الدولة العثمانية توطيد نفوذها في مناطق الخليج العربي في القرن السادس عشر متأخرا فقد سبقتها القوى الاستعمارية كالبرتغاليين والبريطانيين.
3. تعد حملة بيري بك من اهم الحملات العثمانية للسيطرة على الخليج العربي والتي كادت ان تحقق الهدف التي ارسلت البد في السيطرة على جزيرة هرمز بعد ان فرض مطارا قويا عليها وتمكنت من اسقاط القلاع البرتغالية فيها إلا ان قراره المفاجئ بالانسحاب اثار العديد من التساؤلات حول اسباب فك الحصار عن هرمز.
4. اما حملة مصطفى باشا 1559 م للسيطرة على البحرين فكانت حمله شخصيه ارتجاليه افتقرت للخطة العسكرية ولم يكن هناك تنسيق مع العاصمة العثمانية حول ارسال هذه الحملة.

5. اما جهود مدحت باشا في محالة تركيز النفوذ العثماني في مناطق الخليج العربي في العام 1871 فأنها جاءت متأخرة بعد ان حكمت بريطانيا سيطرتها على منطقة الخليج العربي عسكريا واقتصاديا من خلال فرض معاهدات على شيوخ وحكام امارات الخليج العربي.
6. وختاما ما يمكن القول ان القوة البحرية (السفن) للعثمانيين التي ارسلت مع الحملات العثمانية للسيطرة على منطقة الخليج العربي لم تكن بمستوى عسكري جيد بالمقارنة مع الاسطول البريطاني في مياه منطقةالخليج من حيث عدد السفن الحربية ونوعيتها وطريقة تسليح هذه السفن فكانت الغلبة للأسطول البريطاني المتمرس على المعارك البحرية.
7. كذلك المساندة الفارسية للبرتغاليين والبريطانيين بعد ذلك كان لها دورها المؤثر في اخفاق الحملات العثمانية.

قائمة المصادر والمراجع:

References:

1. أحمد جودت باشا. (1308هـ). تاريخ جودت (ترجمة عبد القادر أفندي) (ج 1). مطبعة جريدة بيروت، بيروت.
2. ج.ج. لوريمر .دليل الخليج: القسم التاريخي (ترجمة مكتب أمير دولة قطر) (ج 1). مطابع بن علي، الدوحة.
3. زهير قاسم محمد .(2016) .حملة بيري بك الريس 1552 على الخليج العربي .محاضرة ألقيت على طلبة الدراسات العليا، كلية التربية، جامعة سامراء، ص 1.
4. زهير قاسم محمد .(2016) .حملة سليمان باشا الخادم عام 1538 وبداية الصراع العثماني البرتغالي .محاضرة ألقيت على طلبة الدراسات العليا، كلية التربية، جامعة سامراء.
5. زهير قاسم محمد .(2017) .حملة سيدي علي الريس 1554 على الخليج العربي .محاضرة ألقيت على طلبة الدراسات العليا، كلية التربية، جامعة سامراء.
6. زهير قاسم محمد .(2017) .حملة مدحت باشا على الخليج العربي عام 1871 والموقف البريطاني منها .محاضرة ألقيت على طلبة الدراسات العليا، كلية التربية، جامعة سامراء.
7. زهير قاسم محمد .(2017) .حملة مصطفى باشا على البحرين 1559 .محاضرة ألقيت على طلبة الدراسات العليا، كلية التربية، جامعة سامراء.
8. صالح أوزبران .(1979) .الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي 1534–1581 (ترجمة عبد الجبار ناجي). بغداد.

9. صبري فالح الحمدي .(2007) .أضواء على تاريخ البحرين الحديث (ط 2). دار الحكمة، لندن.
10. صلاح العقاد .(1976) .حملة مدحت باشا في شبه الجزيرة العربية سنة 1871 وصداها على منطقة الخليج العربي .بحث منشور في كتاب لجنة تدوين تاريخ قطر (ج 2). مؤسسة دار العلوم، الدوحة.
11. عباس العزاوي .(2004) .تاريخ العراق بين احتلالين .الدار العربية للموسوعات، بيروت.
12. عبد العزيز المنصور .(1975) .التطور السياسي لقطر 1868–1949 .منشورات ذات السلاسل، الكويت.
13. عبد العزيز سليمان نوار .(1968) .تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا .دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة.
14. عبد العزيز محمد الشناوي .(1976) .المراحل الأولى للوجود البرتغالي شرقي الجزيرة العربية .بحث منشور في كتاب لجنة تدوين تاريخ قطر (ج 2). مؤسسة دار العلوم، الدوحة.
15. عبد العزيز محمد عوض .(1986) .الاحتلال البرتغالي لموانئ الجزيرة العربية .مجلة المؤرخ العربي، العدد 29.
16. عبد الفتاح حسن أبو علية .(1986) .دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر .دار المريخ، الرياض.
17. فاضل مهدي بيات .(2003) .دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني: رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية .دار المدار الإسلامي، بنغازي.
18. فيصل عبد الله أحمد الكندري .(1999) .حملة مصطفى باشا على البحرين 1559 .مجلة العرب، مجلد 35، العدد 1–2، دار اليمامة للبحث والترجمة.
19. محمد حسن العيدروس .(1999) .دراسات في تاريخ الخليج العربي (ج 1). دار الكتاب الحديث، الكويت.
20. محمود شاكر .(2003) .موسوعة تاريخ الخليج العربي (ج 1). دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن.

ترجمة قائمة المصادر والمراجع:

1. Zohair Qasim Mohammed. (2016). The Campaign of Suleiman Pasha Al-Khadim in 1538 and the Beginning of the Ottoman-Portuguese Conflict. Lecture presented to postgraduate students, College of Education, University of Samarra.
2. Saleh Ozbaran. (1979). The Ottoman Turks and the Portuguese in the Arabian Gulf 1534-1581 (Trans. by Abdel Jabbar Naji). Baghdad.
3. Abdel Aziz Mohammed Al-Shennawi. (1976). The Early Stages of the Portuguese Presence in Eastern Arabia. Published in The History of Qatar Committee (Vol. 2). Dar Al-Olum Foundation, Doha.
4. Zohair Qasim Mohammed. (2016). The Campaign of Piri Reis in 1552 on the Arabian Gulf. Lecture presented to postgraduate students, College of Education, University of Samarra, p. 1.

5. Sabri Faleh Al-Hamdi. (2007). Highlights on the Modern History of Bahrain (2nd ed.). Dar Al-Hikma, London.
6. Abdel Fattah Hassan Abu Alia. (1986). Studies in the Modern and Contemporary History of the Arabian Peninsula. Dar Al-Mureikh, Riyadh.
7. Abdel Aziz Mohammed Awad. (1986). The Portuguese Occupation of the Ports of the Arabian Peninsula. The Arab Historian Journal, Issue 29.
8. Abbas Al-Azzawi. (2004). History of Iraq Between Two Occupations. Dar Al-Arabiya for Encyclopedias, Beirut.
9. Zohair Qasim Mohammed. (2017). The Campaign of Sidi Ali Reis in 1554 on the Arabian Gulf. Lecture presented to postgraduate students, College of Education, University of Samarra.
10. Ahmed Jawdat Pasha. (1308 AH). Jawdat History (Trans. by Abdel Qadir Effendi) (Vol. 1). Beirut Newspaper Press, Beirut.
11. Faisal Abdullah Ahmed Al-Kandari. (1999). The Campaign of Mustafa Pasha on Bahrain in 1559. Al-Arab Journal, Vol. 35, Issues 1-2, Dar Al-Yamama for Research and Translation.
12. Fadel Mahdi Bayat. (2003). Studies in the History of Arabs During the Ottoman Era: A New Vision in Light of Ottoman Documents and Sources. Dar Al-Madar Al-Islami, Benghazi.
13. J.G. Lorimer. Gulf Guide: Historical Section (Trans. by the Office of the Emir of Qatar) (Vol. 1). Bin Ali Press, Doha.
14. Zohair Qasim Mohammed. (2017). The Campaign of Mustafa Pasha on Bahrain in 1559. Lecture presented to postgraduate students, College of Education, University of Samarra.
15. Mohammed Hassan Al-Eidrous. (1999). Studies in the History of the Arabian Gulf (Vol. 1). Dar Al-Kitab Al-Hadith, Kuwait.
16. Abdel Aziz Suleiman Nawar. (1968). The Modern History of Iraq from the End of Dawood Pasha's Rule to the End of Midhat Pasha's Rule. Dar Al-Kitab Al-Arabi for Printing, Cairo.
17. Salah Al-Akkad. (1976). The Campaign of Midhat Pasha in the Arabian Peninsula in 1871 and Its Impact on the Arabian Gulf. Published in The History of Qatar Committee (Vol. 2). Dar Al-Olum Foundation, Doha.
18. Zohair Qasim Mohammed. (2017). The Campaign of Midhat Pasha on the Arabian Gulf in 1871 and the British Response. Lecture presented to postgraduate students, College of Education, University of Samarra.
19. Abdel Aziz Al-Mansour. (1975). The Political Development of Qatar 1868-1949. Dhat Al-Salasil Publications, Kuwait.
20. Mahmoud Shaker. (2003). Encyclopedia of the History of the Arabian Gulf (Vol. 1). Osama Publishing and Distribution, Jordan.